



خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لمولد جلالته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي:

معشر الشباب:

ها نحن نلتقي هذه السنة في هذه المدينة المكافحة، لنحتفل بالشباب، ونتعرف على نشاطه ونطلع على المراحل التي قطعها نحو الأهداف التي رسمناها له، ونحدث إليه عن الأدوار العظيمة التي تنتظر قيامه بها لبناء الوطن وتجديده وإحياء أجداده وبعث مفاخره، ومن حسن الصدف أن يقترن عيد الشباب في هذا العام بالأفراح والمسرات التي تشهدها الآن أقطار مغربنا الكبير بمناسبة استقلال الجزائر العزيزة وتحررها وإحرازها سيادتها الكاملة، وإنها لأفراح ومسرات لنا جميعا غمرت قلوبنا بقدر ما غمرت قلوب الجزائريين، وقلوب العرب والمسلمين، وحماة الحرية في كل مكان، إن هذا الحادث التاريخي المجيد يتوج بالنصر المبين النضال الذي خاضته شعوب المغرب العربي منذ سنة 1830، ويضع حدا للآسي والفجائع التي لم تفتأ تعيش فيها منذ ذلك التاريخ، فالآن بدأت معركة التشييد والتجديد التي سيكون فيها أيضا لشبابنا النصيب الأوفر والحظ الأوفى، والتي سيجدون فيها أفسح المجالات للعمل والابداع والخلق والابتكار وإرضاء الطموح.

شعبنا الوفي، معشر الشباب:

إن على الشباب مسؤوليات متنوعة تعظم تارة وتصغر أخرى، وقد تفرض عليه الظروف أن يتحمل كبيرها وصغيرها في آن واحد، ويعمل في ميادينها جميعا، فكما أن الشباب مطالب بالعمل لمصلحة وطنه الكبير وتحقيق الأهداف القومية الكبرى يطالب بالعمل لخير مدينته وقريته، ولتحقيق الأهداف الصغيرة والقرية، إذ من مجموع الأعمال المحلية والاقليمية يتكون البناء الكبير ويتحقق الانسجام في الأمة وتقل الفروق أو تختفي بالمرّة.

وهذا من جملة الأسباب التي حدثنا في السنة الماضية الى ابتكار الطريقة التي أسمينها الانعاش الوطني والتي نستهدف من ورائها تجديد الوطن وتطويره وتوسيع نطاق الأعمال العمرانية والانشائية في جميع أقاليمه، بل في كل مدينة من مدنه وقرية من قرأه، وإيجاد الميادين التي تتفجر فيها الطاقات الكامنة في نفوس الشباب وتستغل في أعمال الاحياء والتجديد والانعاش.

إن من الجناية على الشباب بل من الخطر على أمة من الأمم أن تبقى مواهب أبنائها مكبوتة لا تقدر على الظهور، وسواعدهم عاطلة لا تجد سبيلا الى العمل. وأمة يكون شبابها هكذا محكوم عليها بالخمول والبقاء على الهامش في هذا العصر الذي لا مجال فيه للعيش السعيد إلا للعاملين المجددين، ولقد صدقت ظنوننا فيما أملناه في شبابنا لحركة الانعاش الوطني هذه فقد غرسوا ملايين الأشجار واستصلحوا آلاف الهكتارات، وفتحوا طرقا عديدة، وحفروا الآبار ومدوا السواقي، وبنوا مدارس ومؤسسات اجتماعية كثيرة، بالإضافة الى نشاطهم المعتاد



الذي يقومون به في نطاق الأندية والجمعيات الثقافية والرياضية والفنية، ذلك النشاط الذي برهنوا به عن مقدرة فائقة، وذوق رفيع، وطموح متزايد الى الرفة والكمال.

إن الكثيرين يتحدثون عن الشروط اللازمة لقيام الشبان بأدوارهم وحملهم لمسؤولياتهم على أحسن حال، مطيلين النفس على الخصوص في السلامة الجسمية وأهميتها، ولكن السلامة الروحية والفكرية هي أهم في نظرنا وأخطر، لأنها هي التي تغمر قلوب الشبان إيمانا وطمأنينة، وتحول دون تسرب الارتياح والحيرة والقلق إليها، وتجعلهم يتبينون حقائق الأشياء، حتى إذا فعلوا شيئا أو تركوه، صدموا في الفعل والترك عن بينة واقتناع. إن العصر الذي نعيش فيه يتسم بسمة العلم والثقافة، وقد أدبرت العهود التي كان الأفراد والجماعات البشرية تساق فيها سوقا الى القيام بأعمال لا تدرى فائدتها، أو تجبر إجبارا على التشيع لمذاهب، والانتصار لمعتقدات لا تدرك كنهها، إن انتشار الثقافة قرب من الحقيقة أغلب البشر، كما أن التطور السياسي للمجموعة البشرية رفع مستوى أفرادها في أكثرية بلدان العالم فجعلهم أحرارا رشاء يشاركون بطريقة أو بأخرى في تخطيط السياسات وتنفيذها، فمن الواجب على كل أمة تهتم بمستقبلها أن تهتم بتكوين ناشئتها جسميا وروحيا وفكريا في آن واحد، لأنهم رجال الغد وعمدة المستقبل وكيفما كانوا في حاضره يكونون في مستقبلهم استقامة أو اعوجاجا، وليس على الذين يريدون مطالعة الغد إلا أن ينظروا صورته في مرآتهم الصقيلة، فإنها مرآة أمينة لا تعكس إلا الحقيقة، ونحن لشدة اقتناعنا بهذا لا نالوا جهدا ولا نذخ وسعا لاعداد شباننا للغد، وجعلهم في مستوى الآمال التي نعلقها عليهم وتعلقها عليهم البلاد بما نفتح من مدارس ومعاهد وكليات، ونيسر من أسباب العلم والثقافة، ونفسح من مجالات متنوعة للنشاط خليقة أن تنمي ملكاتهم، وتركي مواهبهم، وتعودهم على التفكير الجيد، والرأي الصائب والعمل المفيد، وتجنبهم المزالق والمنحدرات المشبوهة التي تعمق الفكر وتقتل المواهب وتفضي الى الحيرة والارتياح.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد الى ما يتردد على الألسنة بكثرة في هذه السنين من أن أفكار شباننا أخذت تنح نحو مبادئ ومذاهب غربية مستوردة من الخارج، وليست من الشخصية المغربية في شيء، ولنا متشائمون من هذا الأمر إن صح، ولا قلقين ما دام الشباب إنما يقوم بجولات استطلاعية للتعرف على المذاهب والمناهج يؤوب بعدها الى مبادئه الأصلية استجابة لداعي عبقرية بلاده وانجذابا نحو شخصيتها، إن هيام الفكر وولوعه بالبحث عن المجهول هو أنجع وسيلة للعثور على الحقيقة، ولنا كامل اليقين بأن شخصية المغرب وعبقريته ومقوماته لا بد وأن تجذب إليها شباننا في الأخير، ولا تتركه في متاهة ولو طال تجواله بفكره وبصيرته وروحه النقادة، فيعود الى وطنه ليعيش في واقعه، ويحفظ كيانه قحا خالصا وينمي شخصيته بالمقتنيات والمكاسب التي حصل عليها وهو يبحث عن الحقيقة، وينشد الفضيلة، ويلبي داعي الطموح.

ومما يسهل اندماج شباننا في بيئته الأصلية ويربطه بالمجموعة الوطنية مهما بلغ رفيع الدرجات ثقافة وتفكيراً هو استمساكه بالفضيلة التي إن فرط في شيء فهو فيها غير مفرط، بل هو تشبته بالدين الاسلامي الحنيف الذي فتح عينه عليه ولقن مبادئه في صباه الباكر، فهذا الدين بما تضمنه من معتقدات صحيحة وعبادات نقية خالصة تحرر الفرد والجماعة، ومعاملات ترعى الحقوق والواجبات، وتقيم التعامل والتعايش بين الناس على أساس من الحق والعدل وبما ضمن من مصالح ودرأ من مفساد وحد من حدود، كفيل أن يعيد الى الصواب كل من ضل عنه، ويجعل الفرد عضوا صالحا في جماعة صالحة، يزداد تعامله وإياها حسنا كلما ازداد يقينا بربه، وتقربا منه بضروب العبادات وأفانين الطاعات.



إننا إذا دعونا شبابنا الى العمل الدائب المتقن فلا ندعوهم إسداء لنصيحة وترجية لوصية فقط، بل لاعتقادنا أيضا أن حسن المواطنة وسداد التفكير يفرضان على كل مواطن أن يتعلم من مدرسة الحياة، لأن التجارب وحدها هي القادرة على أن تجعل شبان اليوم رجالا واعين ناضجين إذا بلغوا طور الكهولة، يعملون عن تبصر ووعي وإدراك، لا عن ضمير مهني فقط، إن الثقافة وحدها لا تفيد إذا لم تكن مبنية على ممارسة سابقة للشؤون العامة، وإذا لم تتعزز بتجارب وأحيانا بمغامرات تجعل التفكير في مستوى الواقع والامكان، وتخفز كل ذي مسؤولية الى أن ينجز أعماله انجازا متقنا كفيلا بإيجاد الوسائل التي تحقق المطامح كلها، ولا بد في هذا كله من ثقب ذهن وحيوية ضمير، لأن الضمير الواعي الحي الذي لا ينكبت ولا يذوب في غيره هو الذي يقدح زناد الابتكار ويجعله نافعا مجديا.

لقد عاش المغرب في حالة تجنيد مستمر طيلة ثلاثة عشر قرنا دفاعا عن كيانه ومحافظة على شخصيته، وإن بواعث هذه التعبئة ودواعيها ما زالت الآن قائمة، فليست الأخطار التي تتعرض لها بلادنا اليوم دون أخطار الرومان ومسيحية القرون الوسطى والاشراك التي تعرضت لها بالأمس، ولكن الكيان المغربي استعصى في كل وقت وحين على من حاول النيل منه، وبقي محفوظا، بل كان الصخرة التي تنكسر عليها مطامع الطامعين، واعتداءات المعتدين، ونحن نعتقد أن جيلنا الحاضر لم يفقد خصائص أسلافه، ولكنه محافظ عليها معتز بها، لأنه قد من نبعة أولئك الأسلاف، وورثهم سلاليا كما ورثهم فكريا، وهو يحس تحت تأثير هذه الخصائص باستعداد عظيم لحماية الشخصية المغربية ورعاية الحرية الجماعية والكرامة الفردية، كما يحس برغبة قوية في إرسال إشعاعاته الفكرية والحضارية على ما حوله من آفاق مثلما فعل أجداده، ويدرك إدراكا متبصرا واعيا مسؤولياته المغربية والأفريقية والعاشية أيضا.

فعلى شبابنا أن يزدادوا تبصرا ووعيا للأدوار العظيمة التي تنتظر قيامهم بها سواء في المجال المحلي الضيق أو في الميادين المغربية العربية الأفريقية الفسيحة، وعليهم أن يعدوا أنفسهم من الآن ويروضوها للقيام بهذه الأدوار متشبثين بالقيم الروحية ومعتزين بالمقومات الوطنية، ومتسلحين بكل ما تفرض روح العصر التسليح به من عدد مادية وخلقية، فإنه لا خير فيمن أخذ بإحداها وغفل عن الأخرى، وخلق بمن فعل ذلك أن يفشل وتذهب ريحه. نسأل الله أن يوفق شبابنا الناهض، ويسدد خطاه ويسبغ عليه أروية الصحة ويعزز جانبته بالعلم والثقافة والفضيلة، ويعيننا جميعا على إحياء مجد وطننا وبعث مفاخر أسلافنا، حتى يعود وطننا العزيز كما كان في الماضي مصدر خير وبركة، ومنار ثقافة وحضارة، ودعامة أمن وتوازن واستقرار.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالقيطرة

الاثنين 6 صفر 1382 — 9 يوليوز 1962